الاستشراق الفرنسي ودوره في تحقيق المخطوطات خلال الحقبة الاستعمارية في الجزائر

French Orientalism and its role in the achievement of manuscripts during the colonial period in Algeria

تاريخ الاستلام: 2022/09/14 تاريخ القبول: 2023/01/25 تاريخ النشر: 2023/06/18

إلهـــام سنـاني*
جامعة 20 أوت 1955 – سكيكدة (الجزائر)
Email : Ilhem.senani@yahoo.com

الملخص:

يعد الاستشراق الفرنسي نتاج الحركة الاستشراقية الأوروبية المعاصرة، ومن بين البلدان التي مورس عليها الاستشراق بصورة بارزة بلاد الجزائر، لقد لعب الاستشراق الفرنسي في الجزائر خلال التواجد الاستعماري أدوارا هامة من حيث الاهتمام بالتراث الفكري والثقافي والحضاري، وقد سخر الاحتلال الفرنسي شتى الوسائل المادية والبشرية والعلمية لذلك، وهكذا انطلقت الدراسات الاستشراقية في الجزائر مرافقة الاحتلال الفرنسي في محاولة للتوغل في عمق المجتمع الجزائري من خلال الاهتمام بجمع المخطوطات العربية والبربرية ، لذا تهدف هذه الدراسة إلى إبراز الدور الذي لعبه الاستشراق الفرنسي في تحقيق المخطوطات وطبعها في مجال اللغة والأدب العربي ، ومن أهم العناصر التي تناولتها الدراسة مفهوم الاستشراق وعلاقته بالاحتلال الفرنسي وبدايات الاستشراق الفرنسي في الجزائر والمدرسة الاستشراقية وإسهامات المستشرقين في جمع المخطوطات العربية والبربرية وتحقيقها وكذلك أهم الجزائريين الذين استفادوا من منهجية تحقيق المخطوطات التي أخذوها عن المستشرقين.

الكلمات المفتاحية : استشراق ، تحقيق ، مخطوطات ، احتلال فرنسي ، تراث .

Abstract:

French Orientalism is one of the fruits of the contemporary European Orientalist movement, and among the countries on which Orientalism has been practiced is Algeria. French Orientalism in Algeria during the colonial era played an important role in terms of attention to the intellectual, cultural and civilized heritage, and the French occupation harnessed various material, human and scientific means to do so. Thus, Orientalist studies in Algeria set out to accompany the French occupation in an attempt to penetrate into the depths of Algerian society through interest in collecting Arabic and Berber manuscripts. Therefore, this study aims to highlight the role played by French Orientalism in achieving and printing manuscripts in the field of Arabic language and literature. Among the most important elements dealt with in the study are the concept of Orientalism and its relationship to the French occupation, the beginnings of French Orientalism in Algeria, the Orientalist school, the Orientalists' contributions to the collection and realization of Arabic and Berber manuscripts, as well as the most important Algerians who benefited from the orientalists' manuscript verification methodology.

Keywords: Orientalism, investigation, manuscripts, French occupation, heritage.

مجلة البحوث والدراسات الإنسانية المجلد 17/ العدد 01 –السنة 2023 ص ص 827-842
EISSN : 2588-2317 ISSN : 1112-8151

* المؤلف المرسل: إلهام سناني

المقدمة:

يعد الاستشراق الفرنسي في الجزائر أهم مظاهر الغزو الثقافي، والذي شكل جزءا مهما من الاستعمار بمختلف أشكاله، نظرا للاهتمام الفرنسي بالمجتمع الجزائري وخصائصه ومكونات الهوية لديه والتي شكلت مبعث الثورات والمقاومات الشعبية ، وتبلور هذا الاهتمام من طرف الإدارة الاستعمارية في الدراسات العربية والإسلامية مع أعمال المستشرقين .

لقد عمل المستشرقون على بعث وقائع الماضي اعتمادا على المخطوطات وإعادة الحقيقة إليها بواسطة النقل، على أن جمع مصادر التاريخ يكون بجمع المخطوطات وترجمتها والتعليق عليها قبل القيام بإعادة بناء وقائعها .

كما انصب المستشرقون الفرنسيون على جمع المخطوطات العربية والبربرية، فحققوا العديد منها ومن أشهر المستشرقين الذين برزوا في هذا المجال هنري ماصيه (Henri Massé)، ويرجع إليه كتاب (الدراسات العربية في الجزائر) إضافة إلى هنري ماصيه هناك رينيه باصيه(René Basset) وأوغست كور (Auguste cour) وإدموند فانيان (Edmond Fagnan) وغيرهم ، لذا نحاول من خلال دراستنا هذه إبراز أهم المجهودات التي قام بها المستشرقون الفرنسيون في مجال جمع المخطوطات وتحقيقها، وهذا ما دفعنا إلى طرح التساؤلات الآتية :

- ما هي أهم إسهامات المستشرقين الفرنسيين في جمع المخطوطات العربية والبربرية وتحقيقها ؟
- ما هي المخطوطات التي حققت من طرف المستشرقين الفرنسيين في مجال اللغة والأدب ؟
- من هم أهم الجزائريين الذين استفادوا من منهجية تحقيق المخطوطات من عند المستشرقين ؟

1- مفهوم الاستشراق:

الاستشراق أو الدراسات الاستشراقية " مصطلح أو مفهوم عام يطلق عادة على اتجاه فكري يعني بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة، ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة "(بوفلاقة ، 1984 ،ص 15) .

كانت بدايات الدراسات الاستشراقية مهتمة بدراسة الإسلام وحضاراته واللغة العربية وآدابها، ولكن فيما بعد عرفت توسعا فأصبحت الدراسات الاستشراقية تهتم باللغات والعادات... مع بقاء الدين الإسلامي يستقطب اهتمام المستشرقين.

وعليه فالاستشراق "هو علم متكامل قائم على دراسة آثار الحضارة الشرقية المادية والروحية بما يشمل علم الاقتصاد والتاريخ والجغرافيا والسياسة والآداب والفلسفة والأديان والفنون والأثنوغرافيا وغيرها...(بيطار ، 1998، ص08) .

يتجلى لنا من خلال هذا التعريف أن الغرب (المستشرقين) قد انصبت اهتماماتهم وعنايتهم على التراث الشرقي بنوعيه المادي والروحي، إذ لا يتركون مجالا إلا طرقوه بالدراسة والتحليل بكل دقة وعناية ، كما أن الاستشراق قد عرف من قديم الزمان فقد كان مظهرا بارزا من مظاهر التفاعلات الفكرية والصراعات التي قامت بين الشرق والغرب، وبهذا غدا الاستشراق أداة من أدوات المعرفة للحضارة الغربية .

- **أما المستشرق** فهو" ذلك العالم المتمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه "(محمد حسن، 1979، ص05) ، ومن ثم فالاستشراق هو الميدان والمستشرق هو العامل فيه .

لذلك أطلقت كلمة مستشرق على كل باحث متخصص في الآداب الشرقية أو اللغات الشرقية أو المتضلع في تاريخ إحدى الدول الشرقية أو المهتم بالدراسات السوسيولوجية أو الأنثربولوجية للشعوب ...(بخوش، 2005، ص05).

وبذلك كان ظهور كلمة مستشرق في اللغة الإنجليزية في سنة 1779 وكان ظهوره في اللغة الفرنسية عام 1799م (بن ابراهيم ، 2004 م ، ص ص91،92).

2) **علاقة الاستشراق بالاستعمار الفرنسي:**

قبل أن نلج عالم الاستشراق في الجزائر نحاول تبيان العلاقة بين الاستشراق والاستعمار الفرنسي في الجزائر.

تتمثل العلاقة بينهما في أنهما أبناء وطن واحد وثقافة واحدة، يعكسان تفوقا فرنسيا واحدا مصلحتهما مشتركة واحدة لا فرق بينهما إلا في الجانب الشكلي الوظيفي لعملهما، إذ نجد الاستشراق حقلا ثقافيا أساسه العلم والفكر والثقافة والمعرفة ، في حين أن الاستعمار قرارات سياسية تنفد وتطبق بالقوة العسكرية ، وعلى الرغم من هذا الاختلاف إلا أنهما ينبعان من منبع واحد ويسيران في اتجاه واحد فإمكانيات كل طرف لا تكون إلا في خدمة الطرف الأخر وهي مكملة لعمله، فهما كاليدين بالنسبة للشخص الواحد (بن ابراهيم ، 2004 م ، ص ص91،92) .

وبالتالي فالاستشراق والاستعمار على وفاق تام ، فالمستشرق مثله مثل الجندي يشتركان في غرض واحد وهو الاختراق والسيطرة والدمار، ونظرا للصلة الوثيقة بين الاستعمار والاستشراق فقد أوكلت للمستشرق مهمة جمع المعلومات وترجمة النصوص والاهتمام بدراسة اللهجات والتقاليد ...ليعين الحكومة الاستعمارية على فهم الشعوب المستعمرة مما يسهل التحكم فيها .

وهكذا فإن الاستشراق الفرنسي يتفق مع فعل الاحتلال، ولكنه يختلف معه حول الوسائل التي يتبناها المستشرقون، ولذلك فهم يميلون إلى الاحتلال العلمي والمنهجي .

3– الاستشراق ا لفرنسي في ا لجزائر:

قامت أوروبا بعدة محاولات استشراقية في الشرق والمغرب العربي والإسلامي في إطار البحث عن الذات الأوروبية ، والاستشراق الفرنسي إحدى ثمار الحركة الاستشراقية الأوروبية المعاصرة، ومن بين البلدان التي مورس عليها الاستشراق بصورة بارزة بلاد الجزائر (معريش ، 2009، ص 05) .

إن التأريخ للاستشراق في الجزائر لا يمكن حصره في الفترة التي تلت الاستعمار الفرنسي ، بل يمكن القول أن هناك اهتماما كبيرا للمستشرقين الفرنسيين بالجزائر .

لقد بدأ اهتمام المستشرقين بالجزائر قبل الحملة الفرنسية سواء من الفرنسيين أم باقي الدول الأوروبية ، غير أن تأزم العلاقة بين الجزائر وفرنسا عام 1927م ، وتحضيرها لحملة على الداي حسين ، جعل المستشرقين الفرنسيين يركزون اهتمامهم ويترجمون بعض الأعمال عن الجزائر لمستشرقين أمريكيين وانجليز .

ظهر الاستشراق الفرنسي في الجزائر ظهورا بارزا بعد الاحتلال الفرنسي لها عام 1830م ، فعند دخول الحملة الفرنسية على الجزائر أتى معها عدد من الكتاب والفنانين الرومانتكيين المغامرين والمترجمين والمهتمين بحياة الشرق، وبنجاح الحملة الفرنسية على الجزائر انطلقت الأعمال الاستشراقية في الجزائر مع تركيز كبير على فرقة المترجمين باعتبارهم الواسطة بينهم وبين السكان(سعد الله ، 1998م ،ج6 ، ص 10) .

وشكلت مدرسة اللغات الشرقية في فرنسا المنبع الذي يمد الإدارة الاستعمارية بالمترجمين والمختصين في مختلف المجالات خاصة مع ظهور تلك الحركة التي اهتمت بجمع المخطوطات والكتب الناذرة التي تخص العهد العثماني في الجزائر وما قبلة ، ورافقها حفريات للآثار الرومانية وغيرها .

كما كان للمستشرقين دور كبير في تزويد الإدارة الاستعمارية بالمعارف والمعلومات الكاملة عن طبقات الشعب الجزائري وذلك من خلال القيام بدراسات إثنوغرافية وأنتربولوجية إضافة إلى العمل على جمع المخطوطات وإعادة قراءتها وترجمتها إلى اللغة الفرنسية .

وقد كان زعيم الاستشراق الفرنسي هو سيلفيستر دي ساسي* Silvster De Sasy الذي على يده ظهرت الدراسات العلمية المنظمة في مجال الاستشراق حول الأدب، كما يرجع له الفضل في ظهور النزعة الموضوعية الحديثة في الاستشراق، وقد تعلم على يده عشرات الرواد في مجال الاستشراق في جميع أنحاء أوروبا، كما تميزت نزعته بالاستقلالية عن المرجعية الدينية (درويش، 2004 ، ص 40).

بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر شجع دي ساسي على إنشاء دراسات عربية في الجزائر وذلك بالإشراف على تلاميذه، ومن بين المهام التي كان يقوم بها تجاه تلامذته هو إبداء ملاحظات حول أعمالهم المنجزة.

ومن أهم المراحل التي مّرت بها الدراسات الاستشراقية من بداية الاحتلال إلى غاية الاستقلال (1830 - 1962) ويرى أنها على ثلاثة مراحل:

1- المرحلة الأولى : (1830- 1879) .

2- المرحلة الثانية : (1879- 1930) .

3- المرحلة الثالثة : (1930 -1962) .

تميزت المرحلة الأولى بحضور قوي لفن الترجمة وقد نتج عن هؤلاء المترجمين مجموعة من الأعمال لا تقتصر على مجال الترجمة فقط بل تتعداه إلى مهام أخرى:

1- تعليم اللغة

2- الإشراف على امتحانات الترجمة .

3- التعريف بالمدن والآثار والمخطوطات

4- إصدار القواميس (سعد الله، 1998، ج 6، ص 12) .

أما المرحلة الثانية فإن أهم ما ميزها ظهور مدرسة الآداب التي تحولت إلى كلية الآداب سنة 1909 عند إنشاء جامعة الجزائر وانعقاد المؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين في الجزائر والذي كان تحت إشراف (رينيه باصيه) *1 René Basset عميد مدرسة الآداب وعميد الاستشراق الفرنسي في الجزائر (سعد الله، 1998، ج 6، ص 13). أما المرحلة الثالثة فإن أهم ما ميزها :

إنشاء المعاهد المتخصصة كمعهد الدراسات الشرقية ومعهد الدراسات الصحراوية ثم معهد الدراسات العربية (سعد الله) ، 1998، ج 6، ص 14).

4) ميادين اهتمامات المستشرقين في مجال الأدب:

رأينا من خلال ما سبق أن الاستشراق هو الاهتمام بالشرق عامة والعرب على وجه الخصوص والبحث في الإسلام على وجه أخص، وقد كانت بحوث المستشرقين الفرنسيين في الجزائر مرتبطة بعدة ميادين منها: الدين، الفلسفة، الآثار، اللغة، الأدب ... وغيرها .

وبالتالي فإن الاستشراق الفرنسي كان له تأثير على عدة ميادين ، من حيث عمله على تحقيق المخطوطات وطبع الكتب والبحث في أصول اللغات واللهجات ... إلخ .

ومن بين الميادين التي ركز عليها الاستشراق الفرنسي في الجزائر هي :

- صناعة المعاجم أي تأليف القواميس lexicographie
- النحو(Syntaxe) .

- اللغة العربية ولهجاتها .
- البربرية ولهجاتها .
- الترجمة .
- تحقيق المخطوطات .

اهتم المستشرقون الفرنسيون بدراسة العربية ولهجاتها منذ أن وطأت أقدامهم الجزائر وقد وضعوا لأجل ذلك ستة دروس للغة العربية سميت بالكراسي أو الحلقات وكانت موجهة إلى الفرنسيين، مدنيين وعسكريين، لتعليمهم اللغة العربية الفصحى والعامية، وهذه الحلقات الكراسي) بدأت في ديسمبر 1832 وانتهت بدمجها في المدارس الشرعية الثلاث في سنة 1879"(سعد الله، 1998، ج 6، ص 14). .

إن أول من عهد إليه الفرنسيون تدريس اللغة العربية للفرنسيين في الجزائر هو جوني فرعون[*]2 وقد عرفت دروسه نجاحا كبيرا حتى أن الجمهور الحاضر ضاقت به البناية مما اضطر جوني إلى تبديل المكان عدة مرات وقد أصدر كتابا في النحو العربي، وهو كتاب موجه لتلاميذه" (سعد الله ، أبحاث وآراء.. ،ج4، ص25) .

وبعد جوني فرعون خلفه بهذه المهمة المستشرق لويس برينيه[*] L.Brenier 3 وقد كانت حصصه مقسمة إلى ثلاث حصص أسبوعية، للتدريب على الفصحى والعامية، وحصة خاصة بالنحو والإملاء والأسلوب وحصة خاصة بشرح النصوص الأدبية العربية وكذلك بعض النصوص العلمية، والحصة الثالثة من أجل ترجمة الرسائل والنصوص الرسمية والكتابات المتداولة وقد أصدر لأجل ذلك مؤلفات تخدم تلاميذه منها النحو والإنشاء وشرح النصوص والمجموعات المختارة" (سعد الله، ج 6، ص ص 26، 27) .

وبهذا تخرج على يديه عشرات المترجمين والباحثين كما استطاع أن يوصل العربية الدارجة إلى الكثير من الفرنسيين الأوائل مما جعلهم يتصلون بالجزائريين بأقرب طريقة .

تستمر عملية توسع أعمال المستشرقين الفرنسيين في الجزائر حيث قاموا سنة 1846 بإحداث كرسي جديد للغة العامية في كوليج الجزائر تحت إشراف المستشرق قرقوس Gorgouos إضافة إلى إحداث كرسيين للعربية الدارجة في كل من وهران وقسنطينة وقد وضع المستشرق فينار Vignard على قسنطينة، أما كرسي وهران فقد كان من نصيب هادمار Hadamard، لكن لم يصل أمد

المستشرق فينار في قسنطينة إلا بضعة أشهر ليحل محله شيربونو Cherbonneau (سعد الله، ج 8، ص 30).

وفي سنة 1880 تأسست مدرسة الآداب سنة 1880 وقد تولاها هوداس O.Houdas [*]4 وقد ساعده في ذلك عالم جزائري هو أبو القاسم بن سديرة، ولكن بعد مغادرة هوداس الجزائر عام 1882 ليتولى كرسي العربية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس على إثر وفاة شيربونو ،وبهذا يتولى رينيه باصيه مكان هوداس في الجزائر من أجل تدريس اللغة العربية (سعد الله ، ج6، ص 18) .

لقد تعددت مهام المستشرقين في مجال اللغة والأدب، ويرجع أبو القاسم سعد الله السبب الحقيقي في اهتمام المستشرقين بهذه المجالات هو تدعيم القوة الاستعمارية لا خدمة العلم والمعرفة ، وعليه فالظاهر للاستشراق الفرنسي هو خدمة العلم والمعرفة (سعد الله ، ج6، ص 14) ، ولكن في الحقيقة هو خدمة الاستعمار وأجهزته واستخباراته وخدمة التعصب الديني والعرقي والحضاري لذلك فالاستشراق الفرنسي في الجزائر ليس هدفه علميا معرفيا بقدر ما هو سعي إلى الحط من ثقافة وحضارة الجزائر، فالمستشرقون إذا نظرنا إلى وظائفهم وجدناهم رجال علم وفكر وثقافة وكتابة وتأليف ولكن في الحقيقة نجدهم متورطين سياسيا وعسكريا وتبشيريا واستخباراتيا، كخبراء ومستشارين وقناصلة وسفراء ورجال فكر وثقافة وعلماء ومترجمين ... إلخ

أحاط المستشرقون الفرنسيون إحاطة كبيرة باللغة والأدب الجزائري من جميع النواحي وقد خصصوا لذلك دراسات علمية ميدانية منهجية ، ويرجع السبب في اهتمام المستشرقين الفرنسيين باللغة والأدب، حسب أحد الفرنسيين وهو أوغيست كور [*]5 (A. Cour) الذي يقول : " إن العربية يمكن أن تقدم لفرنسا فوائد جمة لأنها كانت لغة الحديث منذ قرون، وهو يضيف بأن العربية لن تمكن الفرنسيين من فهم الذين يحكمونهم فقط ولكن ستمكنهم من تذويقهم طعم الحضارة الفرنسية وتوسع كور في هذا المعنى قائلا إن دراسة أدب الجزائريين سيؤدي إلى معرفة عبقريتهم وأصالة فكرهم وشعرهم المؤثر، ومعرفة كتبهم في مختلف العلوم ومن ثمة معرفة أصول أفكارهم وأحكامهم وتقاليدهم" (عناني، 1977م، ص 42.) .

وعليه فإن اهتمام المستشرقين بالأدب الجزائري سيوصلهم حتما إلى فهم صورة هذا المجتمع وطبيعتة وأساليب تفكيره، وطرق معيشته وذلك نظرا لما فيه من عناصر و مكونات استقاها الأديب من البيئة الاجتماعية، ووقف منها موقف المصور الناقد في آن واحد.

لذلك فإن غاية المستشرقين ترتبط ارتباطا وثيقا بقراءة الأدب الجزائري والغوص في تراثه، ولكن لن يتحقق لهم ذلك إلا من خلال إتقان لغة هذا الشعب، لهذا كان أهم مجال نشط فيه الاستشراق الفرنسي هو جانب جمع وتحقيق المخطوطات .

5- التحقيق Edition Critique

يعد التحقيق من أبرز المجالات التي ظهرت مع الاستعمار الفرنسي وبالتحديد مع المستشرقين الفرنسيين في الجزائر، وقبل أن نلج عالم التحقيق عند المستشرقين، وتبيان أثره على المفكرين الجزائريين نحاول إعطاء مفهوما له.

يعد التحقيق علما دقيقا و له مجموعة من القواعد التي يرتكز عليها والأسس التي يستند إليها، يعرفه عبد السلام هارون بأنه علم: " يقصد به بذل عناية خاصة بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استيفائها لشرائط معينة فالكتاب المحقق هو الذي صح عنوانه واسم مؤلفه ونسبة الكتاب إليه وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه" (دياب، 1983 ، ص 189).

يعرفه مصطفى جواد: " التحقيق هو الاجتهاد في جعل النصوص مطابقة لتحقيقها في النشر كما وضعها صاحبها ومؤلفها من حيث الخط واللفظ والمعنى" (مريعي ، 1999، ص 02) .

من خلال المفهومين نلاحظ أن التحقيق يقوم على بذل الجهد من أجل تحقيق المخطوط ونشره كما وضعه صاحبه بكل دقة وعناية، أي باستيفاء الشروط سواء المرتبطة باسم المؤلف أم العنوان أم شكل المخطوط أم محتواه .

- يعد مجال التحقيق من أصعب الميادين مراسا لأنه يحتاج من الباحث إلى ثقافة واسعة شاملة عميقة خاصة عندما يرتبط ذلك بنصوص قديمة تتداخل فيها المعارف من تاريخ وعلوم شرعية وقضايا لغوية وإبداع أدبي وقضايا فكرية ، كما أن التحقيق يحتاج إلى صبر كبير ودقة نظر، لأن تأصيل النصوص وتوثيقها ونسبتها إلى أصحابها عملية شاقة ودقيقة تتطلب دوقا فنيا رفيعا ومعرفة بتاريخ الأدب وتطور فنونه عبر العصور و إدراكا لخصائص أدب العصر وأذواق الكتاب والشعراء .

كما أن تحقيق النصوص قائم على منهج علمي موضوعي مضبوط، وقد عرفنا هذا في الجزائر على يد المستشرقين الفرنسيين .

توجهت حركة الاستشراق الفرنسي في الجزائر إلى البحث في العديد من المجالات العلمية، وبذلك أضحت بلاد الجزائر معملا للفكر الفرنسي في مجال البحث والتنقيب ، ومن بين المجالات التي ركز عليها المستشرقون ونبغوا فيها هي تحقيق المخطوطات .

6- البحث عن المخطوطات وجمعها :

كانت الجزائر قبل الاستعمار الفرنسي تزخر بكم هائل من المخطوطات النفيسة، وكانت هذه المخطوطات متواجدة بمكتبات المساجد والزوايا والمدارس وتعود أصول هذه المخطوطات إلى :

– ما احتوته حواضر الجزائر قبل التواجد العثماني مثل تلمسان وبجاية وقسنطينة وبعض قصور الصحراء.

– ما جلبه الأندلسيون بعد سقوط الحواضر الإسلامية بالأندلس في مختلف أصناف المعرفة .

– شراء العلماء وبعض محبي الكتب لنفائس المخطوطات وحملوها معهم من الحرمين الشريفين أثناء الحج والزيارة أو للمناطق الإسلامية كتركيا وسوريا ومصر و المغرب .

وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر وضع المحتل يديه على المساجد والزوايا في مختلف ربوع الوطن ، وقد استعملت لذلك طرقا شتى من أبرزها:

– جمع المخطوطات ونسخها :

اهتمت الدراسات الفرنسية بكل ما يتعلق بشؤون الجزائر منذ أوائل الاحتلال سنة (1830) ، وكان وراء هذا الاهتمام البحث المستمر في مختلف المجالات من طرف المستشرقين المهتمين بالدراسات الشرقية وهذا في إطار مشروع " اكتشاف الجزائر العلمي" *6 ، وقد رافق الحملة كوكبة من العلماء المتعطشين لحضارة المنطقة . وتميز العهد الفرنسي بالأبحاث التي قامت بها مختلف اللجان و الجمعيات . وقد قام المستشرق رينيه باصيه بكتابة تقرير سنة 1920 عرض فيه ما أسماه (نشاط فرنسا العلمي في الجزائر وشمال إفريقيا) وتحدث فيه عما قامت به كلية الآداب بجامعة الجزائر. وقد لعبت كلية الآداب الدور الرئيسي حيث ظهر الارتباط الدقيق بينها و بين إدارة الاستعمار ، و بالأحرى بين الإدارة و الاستشراق . يقول المستشرق هانري باصيه عن أهمية الأعمال المقدمة " إن المجالات التي عالجها المستشرقون في الجزائر خلال رحلتهم هي :المعاجم و اللسانيات و الخطوط و التاريخ الديني و تحقيق و ترجمة النصوص الأدبية و التاريخية و الجغرافية و

الفقهية و العلمية تم الدراسات الإتنوغرافية و الفلكلورية و الكتب المدرسية "(سعد الله ،ج6 ،1998 ، ص 61).

-الحجز والمصادرة :

قام الفرنسيون بالاستيلاء على العديد من المكتبات و من أهم تلك المكتبات مكتبة الشيخ الحداد ومكتبة زمالة الأمير عبد القادر ومكتبات قسنطينة ومعسكر وتلمسان كذلك الأمر نفسه مع مكتبات الزوايا والقصور الصحراوية .

7- المخطوطات المحققة في مجال اللغة والأدب (بن قسيمة، 2021م ، ص ص 209، 210) :

- شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام، نشره غوغويه في لندن1777م .
- شرح كتاب سيبويه، قام به المستشرق الفرنكوألماني ديرونبورغ (Derenbourg) (1844-1908م) ونشره في جزأين في باريس بين سنتي :1881- 1889م .
- الخصائص لابن جني مونك (Munk) (1805-1867م) سنة 1851م .
- كتاب اللمع في العربية لابن جني، قام بنشره (ديرونبورغ) سنة 1886م .
- ألفية ابن مالك، قام بنشرها كل من (دوساسي" (De sacy)(1758-1838م) ، وذلك سنة 1834م "بينتو" (Pinto) وذلك في قسنطينة سنة 1887م غوغويه (Goguyet) وذلك سنة 1888م .
- شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام، نشره غوغويه في لندن1777م .
- ملحة الإعراب للحريري، نشره بينتو سنة 1885 م بباريس .
- الآجرومية في قواعد العربية، قام بنشرها برينيه (Brensier) (1814-1869) عام 1846م .
- متن الخزرجية في العروض لعلي الخزرجي، قام بنشره رينيه باصيه سنة 1902م.

ج 2 .

- ديوان امرئ القيس، قام به دي سلان (De slane)(1801-1878م) بالاشتراك مع رينو (Reinaud) (1867- 1895م) ، ونشره سنة 1837م .
- ديوان ابن الفارض، قام به الأب برجس (barges) (1810-1896م) ، ونشره سنة1855م .
- ديوان " عروة بن الورد " قام به بوشيه (boucher) (1843- 1886م) ونشره سنة 1867م

لقد عمل المستشرقون[7*] على بعث " وقائع الماضي اعتمادا على المخطوطات وإعادة الحقيقة إليها بواسطة النقل، على أن جمع مصادر التاريخ يكون بجمع المخطوطات وترجمتها والتعليق عليها قبل القيام بإعادة بناء وقائعها" (معريش، 2009 ، ص 45).

يتجلى لنا من خلال هذا أن المستشرقين الفرنسيين كان لهم فضلا كبيرا في تحقيق العديد من نصوص التراث الجزائري باستخدامهم للأساليب العلمية أثناء البحث والتحقيق وبهذا مهد هؤلاء المستشرقون – بأبحاثهم ودراساتهم للتراث الجزائري – الطريق لدراسات وأبحاث أخرى على يد جزائريين، وقد اتخذ هؤلاء الجزائريون طريقة ومنهج البحث والتحقيق والتنقيب عن المستشرقين ، وبهذا ساهموا في إحياء تراثهم اللغوي والأدبي والتاريخي والديني.

وكان من بين الجزائريين الذين تأثروا تأثرا كبيرا بأسلوب المستشرقين في مجال التحقيق مُحَمَّد بن أبي شنب *7 هذا الأخير الذي شاركهم أبحاثهم ومؤتمراتهم وقام بالتدريس معهم في كلية الآداب ومدرسة قسنطينة الكتانية ومدرسة الجزائر الثعالبية (سعد الله، ج8 ، ص ص 168، 169) .

وقد ساهم بمساهمات جبارة في نشر التراث العربي الإسلامي خاصة التراث الجزائري منه، وقد ساعده في ذلك عاملين :

– العامل الأول : عامل شخصي يتمثل في ميولاته وحبه للتحقيق إضافة إلى تمكنه من اللغات الأجنبية .

– أما العامل الثاني : هو العهد الذي نشر فيه جهوده في تحقيق التراث هو عهد الوالي العام شارل جونار، هذا الوالي على الرغم من كونه رجلا سياسيا يخدم الفلسفة الاستعمارية إلا أنه كان يشجع في بعض الأحيان على البحث في الآثار العربية الإسلامية للجزائريين ورصد المال في مقابل ذلك لنشرها إضافة إلى توفيره الشروط اللازمة للبحث، وقد انطلقت هذه العملية بداية من 1980 م .

نحاول ذكر بعض الأعمال التي أنجزها ابن أبي شنب في مجال التحقيق :

– تحقيق كتاب " البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان " .

– كتاب عنوان " الدارية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية " لأبي العباس أحمد الغبريني سنة 1910م .

– تحقيق وتصحيح "رحلة الشيخ الورتلاني " التي سجل فيها ما شاهده أثناء رحلاته إلى بيت الله الحرام سنة 1908م.

– تصحيح وتحقيق كتاب" طبقات علماء إفريقيا " لأبي العرب مُحَمَّد بن أحمد بن لميم التميمي ومعه كتاب " طبقات علماء تونس " لأبي العرب المذكور فجاء المجموع أنفس الكتب وأثمنها لمعرفة إفريقيا في عهد بن الأغلب 1915 – 1920م " [30] .

كما تظهر مهارة وبراعة بن أبي شنب في التحقيق من خلال :

– لا يترجم للمؤلف وعصره ونحو ذلك .

– طريقة التحقيق عنده تتمثل في مقابلة أكثر من نسخة ووضع مقدمة قصيرة في وصف طريقة التحقيق .

– يقوم بوضع الفهارس ، فهارس الأعلام والأماكن والكتب والموضوعات وغير ذلك

– يبتعد عن التنميق والإطناب ، "و إنما كان يقتصر في الأسلوب على ما قل ودل، بهذا تميز أسلوبه بالعلمية أكثر من الأدبية "(الصديق، 2005 م ص ص136 ، 137).

و بهذا يعد مُحَمَّد بن أبي شنب من المواهب الناذرة التي ظهرت خلال فترة الاحتلال الفرنسي، ولكن توجهه الرسمي حتم عليه خدمة الاستشراق الفرنسي، إلا أن هذا لا ينفي خدمته للغة العربية وثقافتها، فقد عمل على إحياء التراث الجزائري ونشره اعتمادا على ثقافته الواسعة وإلى ما اكتسبه من عند المستشرقين الذين أتوا بالمنهج العلمي في دراسة الكتب والمخطوطات، وهكذا انتفع الجزائريون بعلمه وإنجازاته ، والتاريخ يشهد على ذلك من خلال ما تركه من مؤلفات تربو عن الخمسين مؤلفا .

– كما حاول جزائريون آخرون أن ينشروا التراث ويحققوا المخطوطات مستقلين أو بالتعاون مع بعض المستشرقين من هؤلاء نذكر:

– مُحَمَّد بن مصطفى خوجة الذي قام بتحقيق تفسير الثعالبي المعروف (بالجواهر الحسان).

– عبد الرزاق الأشرف طبع كشف " الّرموز في بيان الأعشاب " لابن حمادوش .

– تعاون ألفريد بيل مع الغوني بوعلي في إصدار بقية الرواد " (سعد الله، ج8 ، ص ص 169 ، 170).

– نور الدين عبد القادر وهنري جاهير في نشر (روضة السلوان) في التقويم الجزائري الذي كان يشرف عليه سنة 1911 .

– نور الدين عبد القادر قد شارك مع بريال كولان في تسليط الضوء على أعمال عبد الرزاق بن حمادوش (سعد الله، ج8 ، ص 168) .

الخاتمة :

أولى المستشرقون الفرنسيون عناية كبيرة بالتراث الجزائري المخطوط حيث عملوا على جمع المخطوطات وتحقيقها في إطار مشروع "اكتشاف الجزائر العلمي"، وقد تجلى ذلك في العديد من المؤلفات، كما استفاد العديد من الجزائريين مما أخذوه عن المستشرقين فأفادوهم وأفادوا أدبنا الجزائري، ومن هؤلاء مُحَمَّد بن أبي شنب الذي يعد من أهم المحققين الجزائريين الذين تأثروا تأثرا كبيرا بأسلوب المستشرقين في مجال التحقيق والذي شاركهم أبحاثهم ومؤتمراتهم وقام بالتدريس معهم، وقد ساهم بمساهمات جبارة في نشر التراث العربي الإسلامي خاصة التراث الجزائري، إلا أن هذا لا يعني أن نفصل بين عمل هؤلاء المستشرقين والمشروع الاستعماري الاستيطاني على اعتبار أن التراث الجزائري المخطوط كان من أهم المصادر الأساسية التي سهلت على السلطات الاستعمارية فهم عقلية وثقافة الشعب الجزائري، وبالتالي بسط هيمنتها والقضاء على مقومات الهوية الجزائرية .

تعليقات وشروح :

* – سيلفيستر دي ساسي Silvster De Sasy (1757 –1838) : الذي يعده البعض أبو الاستشراق الفرنسي ، وقد كان البيان الذي وزعه الفرنسيون عشية الحملة (1830) على أعيان مدينة الجزائر كان تحت إشرافه انظر : أبو القاسم سعد الله : أبحاث آراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ط3 ، 1990 ، ج1، ص276

*1 رينيه باصيه René Basset : يعد من أشهر مستشرقي فرنسا من أهم أثاره : دراسات في اللهجات البربرية، فهرس للغة القبائل الكبرى، مجموع حكايات بربرية عامة...، وكان من محرري المجلة الإفريقية، كما كان عضوا في مجامع علمية كثيرة أبرزها مجامع باريس، مدريد، روما، دمشق وقد تمنت فرنسا للرجل دورة واعترفت بفضله فعينته وزارة الخارجية قنصلا لها بالجزائر. أنظر: الطيب بن إبراهيم : الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، مرجع سابق ، ص ص 15، 16 .

*2 جوني فرعون : ولد في القاهرة عام 1803، وأبوه وإلياس فرعون السوري الأصل وقد عمل إلياس مترجما في الجيش الفرنسي أثناء الحملة على مصر، وبعد خروج الحملة من مصر رافق جوني فرعون والده إلى فرنسا وهناك التحق بمدرسة اللغات الشرقية بباريس وأصبح أستاذا للاتينية ثم أستاذا للفرنسية وفي سنة 1931 أصبح مترجما خاصا في الإدارة الفرنسية الجديدة بالجزائر وقد ظل وفيا بخدماته لفرنسا إلى غاية وفاته عام 1846، أنظر أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ج 4، ص ص 25،26 نقلا عن فيرو ص، ص 229، 232 وكور، ص 21.

*3 برنييه L.Brenier (1814–1969) كان مجرد عامل مطبعة لصف الحروف، لما بدأ يحضر دروس اللغات الشرقية في مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس ، فأبدى استعداد كبيرا لتعلم لغات الشرق الإسلامي، مما جعله يجذب انتباه أستاذه سلفيستر دي ساسي، فأوصى الحكومة الفرنسية بتكليف ترقيته بإنشاء كرسي لتعليم العربية في الجزائر سنة 1836: أنظر مُحَمَّد جعيجع : دور الاستشراق الفرنسي في استعمار فرنسا للجزائر، مجلة المعيار ص36،35 نقلا عن نجيب العقيقي : المستشرقون ج1، ص 187.

*4 هوداس O. Houdas (1840، 1916) كان من كبار المستشرقين الفرنسيين المقيمين بالجزائر،انتدبته إدارة الحكومة الاستعمارية بعد أن تخرج في اللغات الشرقية من معهد الدراسات الشرقية بباريس مدير المدرسة وهران حيث درس اللغة العربية واللهجات المحلية، عمل مفتشا عاما للتعليم وقد صنف عدة كتب لتدريس العربية. أنظر مُحَمَّد جعيجع: دور الاستشراق الفرنسي في استعمار فرنسا للجزائر، مجلة المعيار، ص 34 نقلا عن نجيب العقيقي، ج 1 ص ص 200 وما بعدها.

*5 أوغست كور: (A. Cour) (1948) كان من كبار مستشرقي الجزائر وشغل بها منصب كرسي العربية بقسنطينة من أثاره، الرجل السياسي على عهد الأمير عبد القادر، كما شغل كرسي العربية بالجزائر ووهران، انظر، الطيب إبراهيم: الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر نقلا عن نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، ط 4، 1980، ج 1، ص 249 .

*6 – تأسست لجنة الاكتشاف العلمي للجزائر في 14 أوت 1837، وكان أغلب منتسبيها من العسكريين وقد وصل عدد أعضائها إلى أربعة وعشرين عضوا : انظر أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج6 ، ص ص 80- 99.

*7- اهتم المستشرقون الفرنسيون بالمخطوطات العربية والبربرية ، فحققوا العديد منها ومن أشهر المستشرقين الذين برزوا في هذا المجال هنري ماصيه، وهو صاحب مؤلف (الدراسات العربية في الجزائر) عرف بكثرة المخطوطات التي عمل على نشرها إضافة انظر أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص 58.

* 8 ولد **مُحَمَّد بن أبي شنب** في 26 أكتوبر 1869 بتاكبو إحدى ضواحي مدينة المدية، نشأ في أسرة مثقفة ومحترمة ، تلقى تعليمه في المدارس العربية والفرنسية ، وبعد تكوين متين تمكن من التسجيل في مدرسة الأدب بالجزائر العاصمة حيث تكون على يد أساتذة كبار أمثال أبو القاسم بن سديرة... وبهذا تمكن من ولوج عدة علوم منها التاريخ الأدبي، الفنون اللغوية إلى غير ذلك كما كان لديه اهتمام كبير باللغات الأجنبية إلى جانب العربية أتقن تسعة لغات، ناقش رسالة الدكتوراه عام 1922 ، كما أنه تلقى عدة مناصب في التدريس آخرها أستاذا محاضرا بكلية الآداب بالجزائر العاصمة، من ناحية أخرى وبالإضافة إلى تدرسيه في المدارس والجامعة كان يساهم في الكتابة في مجموعة من المجلات العربية والفرنسية والإيطالية والألمانية، وكانت له إصدارات كثيرة ، انظر

Mohamed ben Chenab : classes des savants de l'Ifriqiya. Traduit de l'arabe et annote par Mohamed ben Chenab .office des publications universitaires Alger 2006

الإحالات والمراجع:

1- درويش أحمد (2004)، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي،(د ط) ، دار غريب القاهرة، مصر .

2- سعد الله أبو القاسم (1990) ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط3، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان .

3- سعد الله أبو القاسم (1998)، تاريخ الجزائر الثقافي،، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

4- بيطار زينات (1998) الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي(د ط) ، عالم المعرفة، لبنان .

5- بوفلاقة سعد (جمادى الأول 1426 هـ/ يونيو2008) ، الاستشراق والمستشرقون بين الإنصاف والتجني، مجلة بونة للبحوث والدراسات ، عدد 3 .

6- مريبعي الشريف مريبعي (1998 ، 1999م) ، تحقيق النصوص عند علماء العرب القدماء– دراسة في المنهج–أطروحة دكتوراه جامعة الجزائر، معهد اللغة العربية وآدابها .

7- دياب عبد المجيد (1983) ،تحقيق التراث العربي، القاهرة ،(د،ط) .

8- بن إبراهيم الطيب (2004)، الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، دار المنابع ، الجزائر،(د ط)، م .

9- هارون عبد السلام (1397 هـ / 1977م)، تحقيق النصوص ونشرها ، ط4، القاهرة .

10- بخوش عبد القادر (شعبان،1476هـ ، 2005) ، توظيف الاستشراق في خدمة الاستعمار، مجلة المعيار، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة قسنطينة العدد10.

11- وزان عدنان مُحَمَّد (1404 ، هـ/ 1984)، الاستشراق والمستشرقون ، وجهة نظر، رابطة العالم .

12- جعيجع مُحَمَّد (شعبان،1476هـ، سبتمبر 2005م) ، دور الاستشراق الفرنسي في استعمار فرنسا للجزائر، مجلة المعيار ، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة قسنطينة العدد10 .

13- عناني مُحَمَّد زكريا1999 ، سعيدة مُحَمَّد رمضان: في مناهج البحث وتحقيق النصوص، ط1 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت .

14- الصديق أبو مُحَمَّد الصالح (1426 هـ – 2005) ، مُحَمَّد بن أبي شنب ...إيمان وأخلاق وعلم ،مجلة الثقافة الإسلامية، السنة الأولى ،العدد1 .

15- م حسن حمد مُحَمَّد (1979) ،الإسلام والحضارة الغربية، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1.

16- Ben Chenab Mohamed : 2006 classes des savants de l'Ifriqiya. Traduit de l'arabe et annote par Mohamed ben Chenab .office des publications universitaires Alger .